

صاحب الجلالة الملك
يخاطب الأمة بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

شعبي العزيز

ها نحن نستقبل اليوم كالسنوات الفارطة يوم 20 غشت نستقبله بما يواكبه من تضحيات وعبر، نستقبله بآلامه وآماله، نستقبله بملاحمه، نستقبله بأمجاده وبأبطاله، ولكن من جهة أخرى نستقبله بتساؤل عميق يوشك أن يكون تساؤلا حزينا لما يذكي في النفس من تساؤلات لايمكن لقلب أي وطني أصيل محب لبلاده أعطى الدلائل على محبته وتعلقه بها لايمكن لكل وطني أن يضع هذه الأسئلة أو تخطر بباله دون أن يحس بتمزق في لحمه ودمه وإحساساته.

نتساءل هل كان نضالنا يوم 20 غشت وهل كان المنفى والتضحيات وهل كانت مشانق الاستعمار وهل كانت زنازنه وهل ذلك الكفاح كله لايرمي إلا الى هدف واحد: أن تحطم اليمنى واليسرى مابنته الذات كلها وما شيده الجسد كله؟

علينا أن نتساءل هل كتب على هذا البلد أن يبقى آمنا من الشعوذة أم كتب عليه أن يبقى دائما على حذر، أن يبقى دائما مستعدا لا لقطف الثمار اليانعة أو اكتساح الصحاري الشاسعة أو بناء الأمجاد والمفاخر؟ أم عليه أن يعطي طاقاته كلها الى تجنيد وحذر وحيرة وتساؤل؟

ذلك لأننا نرى أنه منذ الاستقلال الى يومنا هذا مابقيت خلية من خلايا المجتمع المغربي الا ورأيناها تكسرت وتحطمت، وكلما كسرت خلية وحطمت خلية مالت زاوية ذلك الجدار الثابت الذي عليه يتكيء الشعب المغربي والذي يتكيء عليه المغرب دولة وكيانا.

فلم تمر على استقلال المغرب أكثر من ثلاث سنوات حتى رأينا انفصالا وقع في حركة سياسية تسمى حزب الاستقلال، ومامر على هذه فترة من الزمن حتى رأينا انشقاقا آجر طرأ على حركة أخرى تسمى الحركة الشعبية، وفي الأسبوعين الماضيين رأينا حركة أخرى انشقت على نفسها، وبين هذا وذاك نرى حوادث الريف ونرى حوادث الصحراء ونرى حوادث بني ملال، ويتخلل هذا وذلك كله سياسياً وحزبيا المثال للذين يرتدون البذلة، سوف يبقون بمعزل محاولة عسكرية في السنة الماضية، ومحاولة عسكرية أخرى في هذه السنة، فعلينا اذن ألا نسلط الأضواء كلها على العسكريين.

علينا أن نعلم أن ماجنيناه اليوم ماهو الا لوجود فراغ من لدن الحماة، أولئك الحماة الذين يجب أن يكونوا مدنيين وعسكريين فلا يعقل أن يناط بجيش كيفما كانت أهميته وكثرته مهمة الدفاع عن البلاد، بل يجب كذلك أن تكون مهمة الدفاع عن البلاد ومؤسساتها وكيانها كامنة في شخص كل مغربي مغربي داخلة في أطر سياسية مسموح لها بنشاطها المشروع حتى يجد العسكري وهو في الوغى من يتكيء عليه، وحتى يجد المدني ملجأه في العسكري، أما ونحن نعطي سياسياً وحزبيا المثال على الشقاق، ونعطي أمثلة للتآمر، ونعتقد أن الذين يرتدون البذلة سوف يبقون بمعزل عن هذه الجرائم التي نبثها والتي ننطق بها في جرائدنا وفي صحفنا

وفي ندواتنا، لايعقل أننا إذا ألقينا الأضواء على أحداث الصخيرات في السنة الماضية ونلقي الأضواء على أحداث 16 غشت في هذه السنة فنرى المسببات ونتغافل عن الأسباب، فالأسباب الحقيقية هي أن كل من بيده سلطة معنوية كحركة سياسية أو ادارية كقضاة وعمال أو سياسية حكومية كبعض الوزراء وكَسُلطة عسكرية للدفاع عن حمى البلاد نرى أن كل قوة من هذه القوى تنهار فتكبو مرة تلو الأخرى، فعوضا من أن ترى في كبوتها دواءها وتستخرج منها علاجها نراها تنزل على الباقي بالشتم والذم والنقد الفارغ.

وهكذا بدأت سلسلة من التناقضات ومن التنافرات كان لابد أن تؤدي الى فتح المجال لكل مشاغب ولكل من سولت له النفس التلاعب بالمقدسات، فما وقع ليست له أهمية من ناحية العمق، ذلك أنني أشارك وزيرنا في الداخلية حيث إنه وصفها بحادثة سير، أقول نعم، حادثة سير أو حادثة مسيرة، ذلك أن شعبنا بقي وطيدا مسلما رغم الغزوات ملكيا رغم الاستعمارات ثابتا في عقيدته وفي معاملاته طيلة 1300 سنة لايمكن أن نعتبر هذه الأحداث الا كحادثة مسيرة، ولكن في شكلها نراها عميقة، ذلك أنها كل مرة تخرج عن النطاق الشرعي وعن ظريق المشروعية.

في دستورنا هذا وفي بلدنا هذا طريق الحكم — ماعدا كرسيَّ الملك — مفتوح أمام الجميع، في متناول الجميع إذا ركب الجميع الطريق المشروع، الانتخابات مفتوحة أمام الجميع، والبرلمان مفتوح أمام الجميع، بل الفرص الادارية والسياسية والتقنية والمالية مفتوحة أمام الجميع، فلماذا نحن إذن نركب طريق الحرام لنيل شيء مشروع بكيفية غير مشروعة والحالة أن الدستور سهل ليس بعسر، وأن المنفذ مفتوح، وأن الفرص معطاة للجميع، وأن الجميع يمكنه أن يتناول من المسؤوليات ماهو قادر على تناوله.

لذا شعبي العزيز علينا أن نراجع جميعا وأقول لكم أن نراجع جميعا مقاييسنا عندما نكتب صباح مساء في الصحف حينما نحاضر ونسامر، حينما نتكلم ونعتبر أنه كيفما كانت مهارة الربان وكيفما كان قلبه إزاء شعبه ومسؤوليته ومهنته لايمكنه أن يقود السفينة إذا كان كل واحد ممن يعينه يغني على طبقة وكل واحد يدفع الى جهة تختلف عن الجهة التي يدفع اليها الآخر.

ولنعلم جميعا أن كل تغيير وقع الآن، لاأتكلم عن سنة 2000 ولاأتكلم عن سنة 2025 ولكن أتكلم عن هذه الفترة من الزمن عن الثلاثين سنة المقبلة، كل واحد أقبل على المس بالكيان المغربي، ذلك الكيان الذي اختاره المغرب واخترناه بعد ممارسته إياه، أختاره عن طواعية فنقحه وأدخل عليه تحسينات حتى صار ذلك الكيان يمثل المغرب وشعبه أحسن تمثيل، فكل من سولت له نفسه أن يمس هذا الكيان فليعلم أنه سيكون هو الضحية الأولى، ذلك الذي أطاح بالسقف الذي يظلله قبل أن يبني سقفا وطيدا يمكن أن يستظل به في المستقبل.

هذه شعبي العزيز هي المشاعر التي تخامر هذا العبد الضعيف تحت الله الذي يعجز لسانه عن شكر ربه والذي لايمكنه أن يقول إلا أنه كيفما كانت أعماله وصدقاته وصلواته واستماتته في سبيل أمته ومهنته سوف تكون دائما أدنى وأدنى من المستوى الذي وضعه فيه ربه وخالقه وسيده الذي أظهر له مرتين وفي أقل من سنة ونصف أظهر له نعمة النجاة من جهة، ولكن جعله في المرة الثانية في المنصب الذي عليه أن يستخرج العبر، وأن يعمل إن اقتضى الحال بالملكية المطابقة للمذهب المالكي الذي لايتردد في القضاء على الثلث الفاسد اذا كان القضاء عليه يضمن نجاة الثلثين السليمين.

علينا أن تجعلنا جميعا نتذكر هذه السلسلة من الانقلابات أقول انقلابات في الحركات السياسية نفسها،



انقلابات في الحركات النقابية نفسها، انقلابات في الأفكار نفسها، محاولاتان لانقلاب عسكري نتيجة للبلبلة، نتيجة للتشكيك، نتيجة للطموح الأحمق، والحالة أنه كما قلت لكم ماعدا كرسي الملك فان جميع الفرص مفتوحة أمام الجميع.

أملي في الله سبحانه وتعالى أن أخاطبكم في السنة المقبلة في مثل هذا اليوم وقد قطفنا ثمار التجربتين القاسيتين اللتين مررنا بهما.

أملي في الله أن يزيدنا معونة وسدادا، وأن يزيل عن أفكارنا وقلوبنا وعواطفنا تلك الغشاوة التي يضل بها ابليس ابن آدم، وهي غشاوة الحقد والأنانية غشاوة حب الرئاسة وحب الكلمة، حتى تكون في مستوى الذين ضحوا وفي مستوى الذين استماتوا وفي مستوى الذين عذبوا.

ولاأريد أن أختم هذه الكلمة دون أن أطلب من الله سبحانه وتعالى أن يمطر شآبيب رحمته على بطل هذا اليوم، محمد الخامس طيب الله ثراه وأن يجعله في مقعد صدق مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين.

وإنني لأضم في دعواتي هذه وهم بجانبه جالسون كل الذين استشهدوا معه قبله أو بعده وكل الذين شاركوا ولو بقدر بسيط في استقلال وتحرير هذه البلاد.

اللهم إنك قلت: (لئن شكرتم لأزيدنّكم) وأفصحُ شكر وأعمقه وأصدق شكر هو أن أختم كلمتي هذه متوجها إليك ربي جلت عظمتك فأقول: (الحمد لله رب العالمين الرحمان الرحيم، مَلِكِ يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الأحد 10 رجب 1392 — 20 غشت 1972